

التهديد بالحرب

فَإِنْ أَبَوْا أُعْطِيَتْهُمْ حَدَّ السَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِئاً مِنَ الْبَاطِلِ، وَنَاصِراً لِلْحَقِّ!
وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرَزَ^(١) لِلطَّعَانِ^(٢)! وَأَنْ أَضْبِرَ لِلْجِلَادِ^(٣)! هَبْلَتْهُمْ^(٤)
الْهَبُولُ^(٥)! لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ! وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ
مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.

٢٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وتشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد، وتأديب الأغنياء بالشفقة

تهذيب الفقراء

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ^(٦) يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ^(٧) الْمَطَرِ إِلَى
كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسَمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً^(٨) فِي
أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً^(٩)؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ^(١٠)

(١) أبرز: أخرج وأظهر إلى المقاتلة.

(٢) الطعان، طعنه بالرمح: ضربه ووخزه به. والطعان: كثرة الضرب بالسيف.

(٣) الجلاد: المجادلة والمصاوله بألة الحرب.

(٤) هبلتهم: ثكلتهم.

(٥) الهبول بفتح الهاء: المرأة التي لا يبقى لها ولد.

(٦) الأمر، جمعه أوامر: طلب إحداث الشيء.

(٧) قطرات، مفردها قطرة: النقطة من المطر.

(٨) غفيرة: زيادة وكثرة.

(٩) فتنة، فتن فلاناً: أضله. قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة» يريد أن هذا التفاوت

في المقامات والارزاق والعطايا لا يجوز أن يتحول عند المسلم إلى مادة فتنة يضل من خلالها، بل يجب أن يفهم أنها لتيسير عجلة الحياة وتكاملها.

(١٠) يغشى: من غشى فلاناً إذا آتاه. قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «فإن المرء المسلم» يعني أن المسلم إذا لم يرتكب أمراً مشيناً ورذيلة وإثمًا فإنه يكون كاللاعب بالقمار المنتصر الذي ينتظر الربح في أول أوقاته.

دَنَاءَةٌ^(١) تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ^(٢) لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ، وَيُغْرَى^(٣) بِهَا لِثَامٌ^(٤) النَّاسِ، كَانَ كَالْفَالِجِ^(٥) الْيَاسِرِ^(٦) الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ^(٧) تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ^(٨)، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ^(٩). وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ^(١٠): إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ دُوْ أَهْلِ وَمَالٍ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ^(١١). وَإِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ^(١٢) حَزْتُ الدُّنْيَا^(١٣)، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَزْتُ الْآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ، فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ^(١٤)، وَأَعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ^(١٥) وَلَا سُمْعَةٍ^(١٦)؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ^(١٧) لِمَنْ عَمِلَ لَهُ. نَسْأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَمُعَايِشَةَ السُّعَدَاءِ، وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ.

(١) دناءة: خساسة وذلة.

(٢) يخشع، من خشع: تطامن وذل وخضع.

(٣) يغرى: يولع به، من أغرى بكذا إذا أولع به، وتأتي للتحريض.

(٤) اللثام: الدنيء، المهان الشحيح النفس.

(٥) الفاليج: الظافر، الفائز. (٦) الياسر: المقامر.

(٧) القداح: سهام الميسر التي يلعب بها.

(٨) المغنم: المنفعة والمكسب. (٩) المغرم: المضرة، والخسارة.

(١٠) الحسينين: الظفر أو الشهادة من الحُسنَى. قوله ﷺ: «أما داعي الله» يريد به الموت، وأما رزق الله فهو الغنمة.

(١١) الحسب، جمعه أحساب: شرف الأصل، مفاخر الآباء.

(١٢) البنين، مفردة ابن: الأولاد الذكور.

(١٣) حرث الدنيا، الحرث: الكسب.

(١٤) التعذير: إظهار العذر شكلاً.

(١٥) الرياء: التظاهر بالخير دون الحقيقة. قوله ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ» في الحديث القدسي «أَنَا أَغْنِي الْأَغْنِيَاءَ عَنِ الشَّرِيكِ، فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِيَ غَيْرِي فِي عَمَلٍ لَمْ أَقْبَلْهُ إِلَّا مَا كَانَ لِي خَالِصاً».

(١٦) السُّمعة: الشهرة أو ما يقصد به ذلك.

(١٧) يكله، من وكل إليه الأمر: سلمه إليه وفوضه، فقام مقامه.

تأديب الأغنياء

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي ^(١) الرَّجُلُ - وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ - عَنْ عِثْرَتِهِ ^(٢)،
وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حِيْطَةً ^(٣) مِنْ وَرَائِهِ،
وَأَلْمَهُمْ ^(٤) لِسَعْتِهِ ^(٥)، وَأَعْطَفَهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ ^(٦) إِذَا نَزَلَتْ بِهِ. وَلِسَانُ الصَّدَقِ
يَجْعَلُهُ **الله** لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ غَيْرُهُ.

ومنها: أَلَا لَا يَعْدِلُنَّ ^(٧) أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ ^(٨) أَنْ
يَسُدَّهَا ^(٩) بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ ^(١٠) إِنْ أَمْسَكَهُ ^(١١) وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ؛ وَمَنْ يَقْبِضْ
يَدَهُ ^(١٢) عَنْ عَشِيرَتِهِ، فَإِنَّمَا تُقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ
كَثِيرَةٌ؛ وَمَنْ تَلَنَ ^(١٣) حَاشِيَتَهُ ^(١٤) يَسْتَدِمُ ^(١٥) مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ ^(١٦).

(١) لا يستغني: لا يغتني. واستغنى به: اكتفى.

(٢) عثرته: ذرية الرجل وولده. (٣) الحيلة: الرعاية والكلاءة.

(٤) ألْمهم: من لم بمعنى جمع وقارب بين المتفرقات.

(٥) السعت: التفرق والانتشار، ومنه لم الشعب.

(٦) النازلة: المصيبة. (٧) يعدلن، من عدل عن الطريق: إذا حاد عنه.

(٨) الخصاصة: الفقر، الحاجة الشديدة.

(٩) يسدّها: نقيض يفتحها يغلقها.

(١٠) قوله **عَلَيْهِ السَّلَام**: «ألا لا يعدلن أحدكم» دعوة في بذل المال الفاضل على الأقارب والأرحام، وترغيب أن ييسط الإنسان ما أعطاه **الله** على مَنْ حوله...

(١١) أمسكه: قبضه، حبسه، تعلق به.

(١٢) قبض يده، ضدّ بسطها، وقبض على الشيء: إذا أمسكه.

(١٣) تلن، اللين ضد الخشونة، ولان له: لاطفه.

(١٤) الحاشية للرجل: أتباعه وخواصه.

(١٥) يستدم: يثبت ويستمر.

(١٦) المودة: المحبة. قوله **عَلَيْهِ السَّلَام**: «ومن تلن حاشيته» بين **عَلَيْهِ السَّلَام** أمراً مهماً وهو أن لا يكون المال سبباً للخشونة والعلو والتكبر، بل إن لين الجانب من الرجل يكسبه حبّ قومه له وعطفهم عليه، وفي ذلك ثمرات كثيرة.